5
سفينة
الأصدقاء

مع الكنغر

فى أستراليا

تأليف : سامى البجيرمى

رسوم : محمد فايد

obeikan.com

سَألَ مُحَمَّدٌ : « أَيْنَ نَحْنُ ؟ » .

فأجَابَهُ الكُنْغُرُ : « نَحْنُ فى أوَاسِط أُسْتُرَاليَا !! » .

قَالَ مُحَمَّدٌ : « لا يُمكِنُ أنْ تَكُونَ هَذِه البِلاَدُ أسْتُرَاليَا !! لأنَّ الصُّورَ التى رَأيتُها لأسْتُرَاليَا فِيها الكَثِيرُ مِنَ المَرَاعِى والبُيوتِ وآلافُ الغَنَم !! وهُنَا لا أرَى بُيوتاً ولا غَنَماً ولا أُنَاساً » . رَدَّ الكُنْغُرُ :

« هَذَا صَحِيحٌ !! نَعَمْ ، لا يُوجَدُ هُنَا غَنَم ولا أُنَاسٌ !! وأسْتُرَاليَا لَيْسَتْ كُلُّها كَمَا تَرَى . ففِيهَا مُدُنٌ كَبِيرةٌ يَسْكُنُها مِئَاتُ الأُلوفِ مِنَ النَّاسِ ، وفِيها أُناسٌ يَشْتَغِلونَ فى مَرَاعِى الغَنَمِ والمَاشِيَةِ ، وفى الغَابَاتِ !!

ولَكِنَّنى ابْتَعَدْتُ بِكَ عَنِ الجَمِيعِ لأنَّنى لا أُحِبُّ النَّاسَ كَثِيراً ، لأنَّهُمْ يُطَارِدُونَنى ويَقْتُلُونَنى » .

كَانَ الجَوُّ صَحْواً والسَّمَاءُ صَافِيةً ، والشَّمْسُ تَسْطَعُ بِنُورِهَا الوَهَّاجِ، وتَبْعَثُ حَرَارَةً شَدِيدةً ؛ فَصَاحَ مُحَمَّدٌ : « إنَّ الجَوَّ حَارٌّ جِدًّا !! ». رَدَّ الكُنْغُرُ : « نَعَمْ ، هُوَ ذَاكَ !! وهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِى مِنْ أجْلِهِ لا تَجِدُ غَنَماً هُنَا !! فالحَشَائِشُ تَجِفُّ لِقِلَّةِ الأمْطَارِ ، ولا يُوجَدُ مَاءٌ للشُّرْبِ إلاَّ فى آبارٍ صَغِيرةٍ وَقَلِيلةٍ ، وأنَا الآنَ أشْعُرُ بالعَطَشِ ، فَهَيَّا بِنَا نَبْحَثُ عَنْ ماءٍ نشربُ مِنْهُ » .

قَالَ مُحَمَّدٌ :

« إذا كَانَ الأمْرُ كَذَلِكَ فاحْمِلْنِى ؛ لأنَّنِى مُتْعَبٌ » .

رَدَّ الكُنْغُر : « هَذَا أمْرٌ هَيِّنٌ !! اقْفِزْ عَلَى ظَهْرِى ، وأمْسِكْ بِى جَيِّداً » .

وفَعَلَ مُحَمَّدٌ كَمَا أَمَرَهُ الكُنْغُر ؛ علَى أنَّ رُكُوبَ الكُنْغُر لَمْ يَكُنْ أَمْراً هَيِّناً ؛ وذَلكَ لأنَّ الكُنْغُرَ لا يَسيرُ سَيْراً مُنْتَظماً ، بَلْ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ وَاسِعَةً ، يَصِلُ طُولُ القَفْزَةِ الواحِدَةِ مِنْهَا إلى عِدَّةِ أمْتَارٍ .

فَكانَ مُحَمَّدٌ يَخْشَى الوُقُوعَ فى أثْنَاءِ إحْدَى تِلْكَ القَفَزَاتِ .

وبَعْدَ أنْ سَارَا قَلِيلاً قَابَلاَ قَطِيعاً مِنَ الكَنَاغِرِ وكُلُّهم يَبْحَثُ عَنْ بِئْرٍ يَشْرَبُ مِنْه .

والكَنَاغِرُ لا تَسِيرُ بِجَانِبِ بَعْضِهَا البَعْض ، ولَكِنْ تَسِيرُ فى خَطٍّ طَوِيلٍ ، بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ ، وذُيُولُهَا الطَّوِيلَةُ بَارِزَةٌ مِنْ خَلْفِهَا ، مما جَعَلَ مُحَمَّداً يَسْتَغْرِقُ فى الضَّحِكِ ..

والكَنَاغِرُ لَيْسَتْ كُلُّهَا مُتَشَابِهَةً ، فَهُنَاكَ (٥٥ نَوْعاً) تَخْتَلِفُ فى الحَجْمِ مِنَ الكُنْغُرِ (الفَأْرِىِّ) الصَّغِيرِ الذِى يَصِلُ طُولُه إلى (٣٣ سَنْتِيمِتْراً) إلى الكُنْغُرِ الأَحْمَرِ والرَّمَادِىِّ الذِى يَصِلُ ارْتِفَاعُهُ إلى مِتْرَيْنِ .

ومُعْظَمُ أَفْرَادِ الكُنْغُرِ لَيْلِيَّةٌ ، تَسْتَرِيحُ فى أعْشَاشٍ عُشْبِيَّةٍ أثْنَاءَ النَّهَارِ ، وتَأْخُذُ أَحْيَاناً حَمَّامَ شَمْسٍ بَعْدَ الظُّهْرِ ، ولَكِنَّهَا تُصْبِحُ أَكْثَرَ حَيَوِيَّةً عِنْدَ الغُرُوبِ فَتَبْحَثُ عَنِ الطَّعَامِ إلى الفَجْرِ .

والإنَاثُ أَصْغَرُ حَجْماً مِنَ الذُّكُورِ ولَهَا جُيُوبٌ مِنَ الأَمَامِ تَحْمِلُ فِيهَا أَطْفَالَهَا الصِّغَار .

أخيراً وَصَلَ الجَميعُ إلى البِئْرِ ، وكانَتْ مُحاطَةً بالحَدائِقِ الخَضْراءِ ، والأشْجارِ العالِيَةِ ، كَثيرَةِ الأوْراقِ ، أخَذَتِ الكَناغِرُ تَشْرَبُ ، ثُمَّ إذا بِها تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ !! فَدُهِشَ مُحَمَّدٌ ، وسَألَ نَفْسَهُ مُتَعَجِّباً :

« ما الخَبَرُ ؟ .. لماذا تَجْرِي الكَناغِرُ هكَذا ؟ » .

عَلَى أنَّه زالَ عَجَبُهُ ، لَمَّا رَأى فِتْيانـاً قادِمِينَ مِنْ بَعيدٍ ، يَحْمِلُونَ حِراباً خَشَبِيَّةً صَغيرةً ، ومِنْ خَلْفِهِمْ كِلابٌ تَنْبَحُ بِشِدَّةٍ ، وكانَ الشُّبّانِ عُراةَ الأجْسامِ ذَوِي بَشَرَةٍ سَمْراء .

نَادَاهُم مُحَمَّدٌ قائلاً : « مَاذَا تَفْعَلُون ؟ » .

رَدَّ أحدُ الفتْيَان :

« نَلْعَبُ لُعْبَةَ الصَّيَّادِينَ ، فَنَتَظَاهَرُ بأَنَّنا نَصِيدُ كُنْغُراً مِنْ تِلْكَ الكَنَاغِرِ القَوِيَّةِ التى تَرْفُسُ بِأَرْجُلِهَا الخَلْفِيَّةِ رَفَسَاتٍ قَوِيَّةً مِثْلَها » .

قَالَ مُحَمَّدٌ :

« حَسَنٌ !! ولكِنَّنى لا أريدُ أنْ أصْطَادَ كَنَاغِرَ ؛ لأنَّ لى كُنْغُراً صَدِيقاً هُنَا ، وأنَا مُسْتَعِدٌّ لأَنْ أَلْعَبَ مَعَكُمْ أىَّ لُعْبَةٍ أُخْرَى إذَا أَخَذْتُمُونِى مَعَكُمْ إلى دَارِكُمْ » .

٧

فَوَافَقُوا جَمِيعاً ، وَجَرَوا إلى تَلٍّ قَرِيبٍ ، وكَانَ فى الجَانِبِ الآخَرِ مِنْهُ مُخَيَّمٌ لِزُنُوجِ أستُرَاليَا .

وَلَمَّا وَصَلوا إلى المُخَيَّمِ .. سَألَ مُحَمَّدٌ : «ولَكِنْ أَيْنَ مَنَازِلُكُمْ ؟» .

فَلَمْ يَرَ مُحَمَّدٌ إلاَّ أَقْبِيَةً (أكواخًا صغيرةً) مِنْ قُشُورِ الأَشْجَارِ ! لايَزِيدُ ارْتِفَاعُهَا عَنْ مِتْرٍ وَاحِدٍ.

رَدَّتْ بِنْتٌ صَغِيرَةٌ :

« هَذِهِ هِيَ مَنَازِلُنا ! فَنَحْنُ لا نَبْنِي بُيُوتاً مِنَ الحِجَارَةِ أو الخَشَبِ ؛ لأَنَّنا نَتَنَقَّلُ عَلَى الدَّوَامِ (دائمًا) مِنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ وَرَاءَ الطَّعَامِ » .

طَلَبَتِ البِنْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْ يَسِيرَ مَعَهَا إِلَى دَاخِلِ أَحَدِ الأَقْبِيَةِ لِيُشَاهِدَهُ .

دَخَلَ مُحَمَّدٌ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً سِوَى بَعْضِ الحَشَائِشِ الجَافَّةِ مُلْقَاةً عَلَى الأَرْضِ ، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَقَاعِدُ ولاَ أَوْعِيَةٌ أو أَطْبَاقٌ .

ولاَحَظَتِ البِنْتُ أَنَّ (القَبْو) لَمْ يُعْجِبْ مُحَمَّداً ؛ فَقَالَتْ لَهُ :

« نَحْنُ فِى الوَاقِعِ لا نَعِيشُ فِى هَذِهِ الأَقْبِيَةِ !! و إِنَّمَا نَنَامُ فِيهَا إِذَا كَانَ الجَوُّ مُمطِراً .وحَتَّى فِى اللَّيَالِى الشَّدِيدَةِ البُرُودَةِ ، كَثِيراً مَا نُشْعِلُ النَّارَ ، ونَنَامُ فِى العَرَاءِ بِالقُرْبِ مِنْهَا » .

قَالَ مُحَمَّدٌ :

« ولَكِنْ كَيفَ تَقْضُونَ نَهارَكُمْ ؟ » . رَدَّتِ البِنْتُ :

« عِنْدَنا أَعْمالٌ كَثيرةٌ نُؤَدِّيهَا !! فَأَحْيَاناً نَحْفُرُ الأَرْضَ بِعِصِيِّنَا الصَّغيرةِ للبَحْثِ عَنْ جُذُورِ النَّباتَاتِ الَّتِي نَتَّخِذُ مِنْهَا طَعَاماً لَنَا .

وأَحْيَاناً نَجْمَعُ البُذُورَ ، ونَطْحَنُها دَقِيقاً .. ومِنْ أَعْمالِنَا صَيْدُ النَّمْلِ الَّذِي نَجِدُهُ مَمْلُوءاً بالعَسَلِ » .

وهُنَا تَقَدَّمَ أَحَدُ الأَوْلادِ ، وقَالَ مُخَاطِباً مُحَمَّداً :

« أَمَّا نَحْنُ ، فَإِنَّنا نَلْعَبُ (البُومرَانج) » .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَعْرِفُ « البُومرَانج » ، فَهِى قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ مُقَوَّسَةٌ ، رَأَى رَجُلاً فى (سِيرك) يَرْمِى وَاحِدةً مِنْهَا ، وَهِى تُسْتَعْمَلُ لِصَيْدِ أَىِّ نَوْعٍ مِنَ الحَيَوانِ .. ومِنْ خَصَائِصِهَا أَنَّها لا تَسْقُطُ على الأَرْضِ ، بَلْ تَدُورُ إلى الشَّخْصِ الَّذِى رَمَاهَا بَعْدَ إصَابةِ الفَرِيسةِ .

وقالَ وَلَدٌ آخَرُ :

« أمَّا أنَا !! فإذَا صِرْتُ رَجُلاً ، فَسَوفَ أصْطَادُ الكَنَاغِرَ وآكُلُهَا !
وسَوْفَ أشُدُّ الثَّعَابِينَ مِنْ جُحُورِهَا وأقْتُلُهَا ، ثُمَّ آكُلُهَا أيْضاً !! إنَّهَا
لَذِيذَةٌ !! وكَذَلِكَ السَّحَالِي والفِئْرَانُ والنَّمْلُ والدِّيْدَانُ وجُذُورُ
الأشْجَارِ !! كُلُّهَا لَذِيذَةٌ ، إذَا عَرَفْتَ كَيفَ تُجِيدُ طَبْخَهَا » .

وكَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى وَشْكِ أنْ يَسْأَلَ الوَلَدَ كَيْفَ يُمْكِنُهُمْ طَبْخُهَا ،
وَهُمْ لا يَعْرِفُونَ الأفْرَانَ
ولا الكِبْرِيت ،

لَوْلاَ أنَّه حَانَتْ منه الْتِفَاتَةٌ فَرأَى رَجُلاً جَالِساً عَلَى الأَرْضِ ، وَبِيَدِهِ (عَصَوَانِ) يَحُكُّ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى بِقُوَّةٍ .. وبَعْدَ هُنَيْهَةٍ (قليلٍ من الوقتِ) تَصَاعَدَ دُخَانٌ ، أَعْقَبَهُ لَهِيبٌ ، ثُمَّ اشْتِعَالُ النَّارِ فى كَوْمَةٍ مِنَ الأَغْصَانِ الجَافَّةِ .

وبَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلُ يُشْعِلُ النَّارَ بِدُونِ (ثِقَابٍ) ، كَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ تَحْفُرُ فُرْناً فى الأَرْضِ .. و فِى ذَلِكَ الفُرْنِ وَضَعَا الأَغْصُنَ المُشْتَعِلَةَ ، وعَلَى تِلْكَ النَّارِ وَضَعَا لَحْمَ كُنْغُرٍ ، كَانَا قَد اصْطَادَاهُ مِنْ قَبْلُ .. وفَوْقَ اللَّحْمِ وَضَعَا جِلْداً ، ثُمَّ نَاراً فَوْقَ الجِلْدِ ، وبَعْدَ أنْ نَضِجَ اللَّحْمُ صَارَ نَاعِماً لَذِيذاً . ثُمَّ اجْتَمَعَ أَهْلُ المُخَيَّمِ ، وَمَعَهُمْ مُحَمَّدٌ لِيَأْكُلُوا ، وَقَطَّعُوا اللَّحْمَ قِطَعاً بِأَحْجَارٍ حَادَّةٍ كَالسَّكَاكِينِ ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ بِأَيْدِيهِمْ .

وقَدْ لاَحَظَ مُحَمَّدٌ أنَّ الشُّبَّانَ لا يَأكُلُونَ مِنَ اللَّحْمِ ، إلاَّ بَعْدَ أنْ يَشْبَعَ الرِّجَالُ الأكْبَرُ سِنّاً ؛ فَهَؤلاءِ لَهُمُ النَّصِيبُ الأوَّلُ .

وَبَعْدَ أنْ أكَلَ مُحَمَّدٌ ، طَلَبَ مَاءً لِيَغْسِلَ مَا عَلِقَ بِأصَابِعِهِ مِنَ الدُّهْنِ ؛ فَصَاحُوا جَمِيعاً :

« أتُرِيدُ أنْ تَغْسِلَ يَدَيكَ ؟؟ .. مَا هَذا ؟ !! » .

قَالُوا ذَلِكَ مُنْدَهِشِينَ ، لأنَّه لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أنْ فَعَلُوا ذَلِكَ لأنَّ الماءَ قَلِيلٌ جِدّاً قَدْ لا يَكْفِي الشُّرْبَ فَقَطْ .

مِنْ أجْلِ ذَلِكَ يَبْحَثُونَ فِي الأرْضِ عَنْ بَعْضِ جُذُورِ النَّبَاتَاتِ الَّتِي تُخَزِّنُ الماءَ مِنَ الأمْطَارِ .

وقَدْ تَكُونُ الجُذُورُ فِي حَجْمِ (اللِّفْتِ) ، فإذَا شُقَّتْ نَزَلَ مِنْهَا مَاءٌ كَثِيرٌ .

ولَمَّا لَمْ يَجِدْ مُحَمَّدٌ مَاءً ولاَ صَابُونًا ، صَمَّمَ عَلَى الرُّجُوعِ إلى سَفِينَتِهِ ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بأَنَّهُ فِى احْتِيَاجٍ إلى الاغْتِسَالِ .

ولَمَّا وَصَلَ إلى السَّفِينَةِ صَاحَتِ الحَيَوانَاتُ :« دورى !! دورى !! »

قَالَ مُحَمَّدٌ :« فَلْيَلْتَقِطْ لَنَا البَبَّغَاءُ الأَخْضَرُ وَرَقَةً مِنَ الكِيسِ !!». فَالْتَقَطَ البَبَّغَاءُ الوَرَقَةَ .. وكَانَ دَوْرُ « الجَمَلِ » .

الناشـــر : **دار الرشـاد**
العنـــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــون : ٣٩٣٤٦٠٥
رقـم الإيداع : ٨٢٨١ / ٩٨
الترقيم الدولى : 977 - 5324 - 67 - X

الطبـــع : **عربية للطباعة والنشر**
العنـــوان : ٧ ، ١٠ ش السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفـــون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣

الجمـــع : **أرمس**
العنـــوان : ٣٢ شارع على عبد اللطيف ـ مجلس الأمة
تليفـــون : ٣٥٦٤٤٠٤

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

obeikandl.com